تفسير القرآن بالسنة عند السعدي في تفسيره

دراسة نظرية

الباحثة/ ديما بنت صالح المرزوقي

باحثة ماجستير في قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة

جامعة القصيم Qassim University

ملخص البحث:

تناولت الدراسة تفسير القرآن بالسنة عند السعدي في تفسيره، وجاءت في تمهيد، ومبحثين.

أما التمهيد فعُرِّف فيه تفسير القرآن بالسنة، وبُيِّنت مكانة السنة وأهميتها، وكُشِف فيه عن مدى عناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة.

وفي المبحث الأول: تناولت الدراسة التفسير النبوي عند السعدي في تفسيره، وفي المبحث الثاني: تناولت الدراسة تفسير السعدي للقرآن بالسنة.

واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي، وقد توصل البحث فيها إلى عناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة، واستشهاده بالتفسير النبوي عند تفسيره للآيات، وتفسيره للقرآن بالسنة اجتهاداً، كما بيَّنت الدراسة حجية أقسان تفسير القرآن بالسنة، والفرق بينهما.

ويوصي هذا البحث بدراسة تفسير القرآن بالسنة دراسة تؤصِّل لهذا الأصل من أصول التفسير، وتكشف عن أسباب الخطأ فيه.

كلمات مفتاحية: تفسير، قرآن، سنة، السعدي.

مقدمة:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد قال الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم مخاطباً رسوله الأمين محمداً ﷺ: ﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فأدى رسول الله ﷺ الأمانة، وبيّن للناس القرآن، وفسّر من معانيه ما دعت الحاجة لبيانه.

ولمّا كانت السنة النبوية أصلاً مهماً لتفسير القرآن الكريم، ومصدراً من أهم مصادره؛ فسر الصحابة –رضي الله عنهم– القرآن بالسنة، وتبعهم التابعون ومن بعدهم في ذلك.

وسار على هذا النهج السليم كثير من المفسرين سلفاً وخلفاً مجتهدين في تفسير القرآن بالسنة، ومن هؤلاء المفسرين: الشيخ المفسر عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– فقد قال في مقدمة تفسيره: "فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه" [تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/٤)]

وكذلك فإن من اهتمامه الظاهر بالسنة زيادة عدد الأحاديث الواردة عنده في تفسيره عن ٢٤٠ حديثاً؛ ولذلك عزمت على دراستها دراسة نظرية فجاء هذا البحث بعنوان: "تفسير القرآن بالسنة عند السعدي"، وأرجو من الله العلي القدير الهداية والتوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

١– ما مدى عناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة؟

٢– ما أقسام تفسير القرآن بالسنة في تفسير السعدي؟

٣– ما الفرق بين التفسير النبوي وتفسير القرآن بالسنة؟

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره في الأمور التالية:

١- دراسة الموضوع لأحد أهم مصادر التفسير وهو تفسير القرآن بالسنة، قال ابن تيمية مجيباً عن سؤال "ما أحسن طرق التفسير؟": "فإن أعياك ذلك -أي: تفسير القرآن بالقرآن- فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" [مقدمة ابن تيمية ص٩٣].

٢- تأكيد الموضوع على الارتباط الوثيق بين القرآن والسنة، وإظهار مدى أهمية السنة بالنسبة للقرآن الكريم.

٣- تميُّز السعدي بسلامة المنهج في التفسير، ومن ذلك عنايته بتفسير القرآن بالسنة.

٤- مساهمة الموضوع في بناء دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالسنة؛ من خلال دراسة الموضوع لطريقة تفسير القرآن بالسنة عند علَم بارز من أعلام التفسير.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لما يلي:

١- إبراز عناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة.

٢- الكشف عن أقسام تفسير القرآن بالسنة في تفسير السعدي.

٣- بيان الفرق بين التفسير النبوي وتفسير القرآن بالسنة.

حدود البحث:

حدود البحث متعلقة بتفسير القرآن بالسنة عند السعدي في تفسيره: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" طبعة دار ابن الجوزي.

الدراسات السابقة:

لم أجد -فيما اطلعت عليه- بعد مراسلة مراكز البحوث، والاطلاع على قواعد البيانات الخاصة بالرسائل والبحوث العلمية، والبحث في الشبكة العنكبوتية، وسؤال بعض المختصين مَن تناول موضوع: "تفسير القرآن بالسنة عند السعدي" مفرداً بالدراسة، وسأذكر فيما يلي الدراسات السابقة مع بيان وجه اختلافها عن هذه الدراسة بعد النظر فيها والاطلاع عليها.

أولاً: دراسات قرآنية متعلقة بالشيخ السعدي، ومنها:

- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً، رسالة ماجستير للباحث: عبد الله السابح الطيار، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٧ هـ).

عُني الباحث في هذه الدراسة بالمنهج العام كاملاً للسعدي في التفسير، مؤكداً خلالها على عناية السعدي بعلم الحديث عامة، ومشيراً إلى حرصه الشديد على إيضاح

القرآن بالسنة، إلا أنه لم يبحث في تفسير القرآن بالسنة عند السعدي باستقلال وتوسع؛ وذلك لأن طبيعة البحث تتطلب ذلك.

– ترجيحات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في التفسير جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير للباحث: عبد الله بن أحمد زقيلي، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٦هـ).

مجال هذه الرسالة مختلف فهو مختص بدراسة ترجيحات السعدي، ولم يتناول الباحث في دراسته تفسير القرآن بالسنة إلا من هذا الجانب –جانب الترجيح–، ولم يتجاوز كلامه عن تفسير القرآن بالسنة عند السعدي صفحة واحدة فقط.

– قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي القواعد الحسان وتيسير الكريم الرحمن أنموذجاً، رسالة ماجستير للباحث: هشام شوقي، من جامعة الحاج لخضر (١٤٣١هـ).

تُعنى هذه الدراسة ببيان مدى تطبيق السعدي للقواعد التي نظّر لها في كتابه "القواعد الحسان"، ولم يتكلم الباحث في هذه الدراسة عن تفسير القرآن بالسنة عند السعدي إلا في أربع صفحات فقط، أشار خلالها إلى أن للسعدي عناية بتفسير القرآن بالسنة.

ثانياً: دراسات متعلقة بتفسير القرآن بالسنة:

– التفسير النبوي مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح، رسالة دكتوراه للباحث: خالد بن عبد العزيز الباتلي، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٩هـ).

تختلف هذه الدراسة عما في هذه الدراسة من حيث كونها دراسة تأصيلية عامة، ومن حيث أنها دُرِست من الناحية الحديثية لا القرآنية.

– تفسير القرآن بالسنة في تفسير الحافظ ابن كثير من أول سورة هود إلى آخر سورة النحل دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير للباحثة: منيرة بنت سالم الشهراني (١٤٣٩هـ).

تناولت الباحثة في هذه الدراسة تفسير القرآن بالسنة عند ابن كثير مما يجعلها مختلفة عما في هذه الدراسة فهي تختص بنصوص السعدي في تفسير القرآن بالسنة.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث مناهجَ عدة، وتفصيلها ما يلي:

- المنهج الاستقرائي: فقد تم –بحمد الله– استقراء تفسير السعدي كاملاً، واستخراج المادة العلمية منه والمواضع التي فسر بها القرآن بالسنة.

- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل نصوص السعدي في تفسيره للقرآن بالسنة؛ للوصول إلى نتيجة علمية.
- المنهج الوصفي: وذلك بالوصف العلمي التأصيلي للطريقة التي فسر بها السعدي القرآن بالسنة.

إجراءات البحث:

١- استقراء تفسير السعدي كاملاً.

٢- جمع المواضع المفسَّرَة بالسنة عند السعدي وتحليلها.

٣- كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها وأرقامها بعدها مباشرة في المتن؛ تقليلاً للحواشي.

٤- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها.

٥- تخريج الأحاديث والآثار بالإحالة إلى مصادرها، وذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة -كل مصدر بحسبه-، وإن كانت الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، أما إن كان في غيرهما خرجته من مظانه مع ذكر حكم العلماء عليه إن وُجد.

٦- عزو النقول إلى مصادرها إن وجدت، أو أقرب مصدر لها.

٧- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

٨- التعريف الموجز بالأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في نصوص السعدي.

٩- التعريف الموجز بالأماكن والبلدان غير المشهورة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

مقدمة، وفيها: مشكلة البحث، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطة البحث، ومصادره.

تمهيد، وفيه تعريف تفسير القرآن بالسنة، وبيان مكانة السنة وأهميتها، وعناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة.

المبحث الأول: التفسير النبوي الصريح للقرآن، وأساليبه

المطلب الأول: التفسير النبوي الصريح للقرآن

المطلب الثاني: أساليب التفسير النبوي الصريح عند السعدي في تفسيره

المبحث الثاني: اجتهاد السعدي في تفسير القرآن بالسنة

المطلب الأول: المراد بتفسير القرآن بالسنة

المطلب الثاني: حجية تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير النبوي وتفسير القرآن بالسنة

خاتمة، وفيها: أبرز النتائج، والتوصيات.

- ثبت المصادر والمراجع

تمهيد:

أولا: تعريف تفسير القرآن بالسنة:

يمكن أن يُقال بأن تفسير القرآن بالسنة هو: بيان معنى آية بدلالة حديث.[1]

وشرح التعريف: الكشف عن المراد بآيات القرآن الكريم بدلالة السنة قولية كانت أم فعلية أم تقريرية.

ثانياً: أهمية تفسير القرآن بالسنة

اكتسبت السنة مكانة عالية؛ فهي أصل أساسي في التشريع، وأهمية التفسير بها تظهر من جوانب عديدة:

الجانب الأول: أن السنة وحي من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

الجانب الثاني: أن النبي ﷺ مكلف بالبلاغ والبيان، قال تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

الجانب الثالث: أن الله سبحانه أمر بطاعة الرسول ﷺ واتباعه، وحذر من مخالفته، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ﴾[النور:٥٤]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الجانب الرابع: العمل بتفسير القرآن بالسنة:

وقد فسر النبي ﷺ آيات من القرآن، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[2]، فقد أشكل على الصحابة رضوان الله عليهم المراد بالآية، فبيَّن لهم رسول الله ﷺ معناها ووضحه لهم، فهذا تفسير نبوي للقرآن.

وسار على هذا المنهج -تفسير القرآن بالسنة- الصحابة الكرام ثم التابعين من بعدهم؛ فقد سُئِلَت عائشة رضي الله عنها عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] فقالت: "نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم"[3]، وقد بيَّن ذلك النبي ﷺ؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله

(١) استنتجته مما عرف به د. مساعد الطيار تفسير القرآن بالقرآن ينظر: التحرير في أصول التفسير للطيار (ص٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: صدق الإيمان وإخلاصه، ح: ١٢٤، (١١٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: ، ب: سورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[الكوثر: ١]، ح: ٤٩٦٥، (١٧٨/٦).

ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفاً سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ٣﴾[الكوثر] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»(١).

وجاء عند الطبري عن قتادة –وهو من التابعين– تفسير قول الله سبحانه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] فقال: "كنَّا نُحَدَّثَ أن أرواح الشهداء تعارف في طَير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سِدرة المنتهى..."، وعن عكرمة قال: "أرواح الشهداء في طير خُضر في الجنة"(٢)، ومستندهم في ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت...»(٣)، فيظهر اعتمادهم على السنة في تفسيرهم.

وقد أدرك المفسرون أهمية تفسير القرآن بالسنة، ففسروا بها في ثنايا مؤلفاتهم وأكدوا على منهجهم في مقدمة تفاسيرهم؛ قال الطبري: " لم يكن لنا السبيل إلى العلم بما عَنَى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه إلا ببيان مَن جُعل إليه بيان القرآن، وهو رسول الله ﷺ "(٤)، وقال أيضاً: "مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ "(٥).

ثالثاً: عناية السعدي بتفسير القرآن بالسنة:

وقد عُني السعدي بتفسير القرآن بالسنة حيث أشار إلى ذلك في خطبة تفسيره، وعمل بها في ثناياه، فقد قال –رحمه الله– :"**فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه.**"(٦)، تُلاحَظ إشارة السعديه هنا وأنه بيَّن أن من أعظم ما يُعين على فهم كتاب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح: ٤٠٠، (٣٠٠/١)

(٢) تفسير الطبري (٦٩٩/٢ و٧٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ح: ١٨٨، (١٥٠٢/٣).

(٤) تفسير الطبري (١٢/١).

(٥) تفسير الطبري (٦٨/١).

٦ تفسير السعدي (٤/١).

الله تعالى هو العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته، وقد عمل السعدي بذلك ففسر القرآن بالسنة وأكد على أهمية ذلك.

وقال السعدي أيضا: "فلو أراد الإنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك [أي: معرفة رسول الله ﷺ وأحواله] لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير، وهذا إنما يعرفه من عرف كيف كثر حمل مراد الله ورسوله على العرف الحادث فوقع الخلل الكثير."(١)

وهنا أكَّد السعدي على ذات المعنى في أهمية الرجوع لسنة رسول الله ﷺ في تفسير كلام الله سبحانه؛ حتى لا يحصل الخطأ في التفسير.

وقد أشار السعدي في مواضع كثيرة من تفسيره إلى أن السنة مفسرة للقرآن مبينة له وأنها توضح مافيه؛ ومما يبين عنايته تصريحه بذلك في عدة مواضع:

فقد صرَّح السعدي في تفسيره ببيان السنة للقرآن فقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه،﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ **قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها. فيكون – على هذا – تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب؛ لأن السنة تبين القرآن وتفسره وتعبر عنه**" (٢)

وصرَّح السعدي بأن تفاصيل بعض ما أُجمل في القرآن يؤخذ من السنة فهي تفسره وتبينه، كما في قوله: "﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم، وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس. **ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنها تفسر القرآن وتبين المقصود منه**"(٣)

وقد فسَّر السعدي الآيات بالسنة تطبيقاً لما أصّل له في مقدمة تفسيره وثناياه، فقد تبيَّنت عنايته بالسنة واستفادته منها في التفسير، إما بالاستشهاد بتفسير نبوي، أو الاجتهاد في تفسير القرآن بالسنة، وهما أقسام تفسير القرآن بالسنة.

فإن لتفسير القرآن بالسنة قسمان؛ أشارت إليها المصادر المتقدمة كما في البرهان للزركشي؛ فإنه أشار إلى أقسام التفسير بالسنة وظهرت عملياً عند ذكره لنماذج معاضدة السنة للقرآن، حيث بيّن الزركشي في معاضدة السنة للقرآن أن النبي ﷺ نبَّه على معاضدة السنة للقرآن الكريم في خطاباته؛ فكان ﷺ يقول بعد حديثه اقرؤوا ان شئتم أو

(١) تفسير السعدي (١١، ١٣، ١/١٤).
(٢) تفسير السعدي (١١٠/١).
(٣) تفسير السعدي (٥١٨/١ و٥١٩).

يقرأ بعد حديثه آية؛ مشيراً إلى موضع حديثه من القرآن ومبيناً مصداق حديثه ﷺ، وعلل الزركشي عمل النبي ﷺ فقال: "فأعلمهم مواضع حديثه من القرآن، ونبههم على مصداق خطابه من الكتاب، ليستخرج علماء أمته معاني حديثه طلباً لليقين، ولتستبين لهم السبيل، حرصاً منه عليه السلام على أن يزيل عنهم الارتياب، وأن يرتقوا في الأسباب[1]"؛ فهو إرشاد للعلماء ليقتدوا به ﷺ وينظروا فيما يعاضد القرآن من سنته ﷺ.

فظهر بالنظر لما في إشارة الزركشي أن للتفسير بالسنة قسمان؛ أحدهما تفسير نبوي والآخر تفسير العلماء للقرآن بالسنة؛ أبينهما بتفصيل في المباحث التالية.

١ البرهان للزركشي ٤٠٥

المبحث الأول: التفسير النبوي الصريح للقرآن، وأساليبه

المطلب الأول: المراد بالتفسير النبوي الصريح للقرآن

يُسمى التفسير النبوي بالتفسير الصريح والمباشر للقرآن بالسنة[1]، ولم أقف على حد للتفسير النبوي عند المتقدمين -فيما اطلعت عليه- ويمكن أن يُقال أن التفسير النبوي هو: قصد النبي ﷺ بيان معاني القرآن بقوله أو فعله أو تقريره.[2]

والظاهر بالنظر لما ورد في التفسير النبوي المباشر الصريح للقرآن أنه قليل، وهو حجة بلا خلاف[3]؛ فيجب الأخذ به وحمل الآية عليه، ورد ما يضاده من تفسيرات.[4]

قال ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عُرِفَ تفسيرها وما أُرِيدَ بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم"(٥).

المطلب الثاني: أساليب التفسير النبوي الصريح عند السعدي في تفسيره

للنبي ﷺ أسلوبان في التفسير؛ فإما أن يفسر ﷺ الآيات ابتداء أو لسبب

أولاً: تفسير النبي ﷺ الآيات ابتداءً:

يُراد به أن يفسر النبي ﷺ آية ابتداءً من غير سبب، وله أنواع:

١- أن يذكر النبي ﷺ الآية ثم يبين معناها، ومثاله:

ما فسر به النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠] وهو على المنبر فقال: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[6]

وقد ذكر السعدي هذا الحديث عند تفسيره للآية فقال: "ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرمي»

٢- أن يبيِّن النبي ﷺ معنى الآية ثم يذكرها، ومثاله:

ما فسَّر به النبي ﷺ قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] فقال: «قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[7]

---

١ التحرير د الطيار ٦٣

٢ المهذب د الحميضي ٥٨، مقالات د الطيار ١/ ١٨٠

٣ ينظر: التحرير للطيار ٧٣

٤ ينظر: قواعد الترجيح للحربي ١٩١، والمهذب للحميضي ٥١

(٥) الفتاوى (٢٨٦/٧).

٦ أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، ح: ١٩١٧، (١٥٢٢/٣).

٧ أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح: ٣٢٤٤، (١١٨/٤)

وقد ذكره السعدي في تفسيره للآية فقال: "كما قال تعالى على لسان رسوله: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[1]

٣- تأول النبي ﷺ الآية؛ أي: التطبيق العملي، ومثاله:

عمل النبي ﷺ بعد نزول سورة النصر؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[2]، وزادت رضي الله عنها في رواية أخرى فقالت: "يتأوَّل القرآن"[3]

وفسَّر السعدي الآيات بهذا البيان النبوي فقال: "فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»"[4]

ثانياً: تفسير النبي ﷺ الآيات بسبب:

يُراد به أن يفسر النبي ﷺ الآية لسبب من الأسباب؛ كسؤال الصحابة أو استشكالهم، فلا يكون التفسير من النبي ﷺ للآية ابتداءً، والأسباب متنوعة، منها:

١- سؤال الصحابة رضوان الله عليهم، ومثاله:

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: " هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا "[5]

وهذه الآية قريبة من الآية الواردة في سورة البقرة وهي التي ذكر السعدي الحديث عندها فقال: " بل قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في أجواف طيور(٣) خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش."[6]

---

١ تفسير السعدي (

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: {ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٨]، ح: ٤٩٦٧، (١٧٨/٦)، ومسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود، ح: ٤٨٤، (٣٥١/١)

٣ أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأذان، ب: التسبيح والدعاء في السجود، ح: ٨١٧، (١٦٣/١)، ومسلم في صحيحه، ك: ب: ح: (.

٤ تفسير السعدي (

٥ أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ح: ١٨٨٧، (١٥٠٢/٣)

٦ تفسير السعدي (

٢- استشكال الصحابة رضوان الله عليهم

فقد يشكل على الصحابة -رضوان الله عليهم- أمر ويسألون النبي ﷺ عنه، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، حيث قال السعدي: " فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة؛ فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ﴾ الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما السفر مع الخوف، ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا﴾ قصر العدد فقط أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟ أي: والله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم؛ فاقبلوا صدقته» أو كما قال."[١]

المبحث الثاني: اجتهاد السعدي في تفسير القرآن بالسنة

المطلب الأول: المراد بتفسير القرآن بالسنة:

يُسمى تفسير القرآن بالسنة أيضاً: التفسير بالسنة غير المباشر وغير الصريح[٢]، ويراد به: "بيان المفسِّر للقرآن بالسنة النبوية التي لم ترد في سياق التفسير"[٣].

وأشار إلى هذا القسم كثير من العلماء، قال الإمام الشافعي: "جميع السنة شرح للقرآن"، وقال الشاطبي: "إن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب"[٤]

ويراد باجتهاد السعدي في بيان القرآن بالسنة: بيان السعدي لمعنى آية بالاستفادة من سنة رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات.

والمتأمل لكتب التفسير يجد أن الاجتهاد في تفسير القرآن بالسنة كثير جدًّا عند المفسرين، وقد صرَّح السعدي بعدد من أوجه التفسير بالسنة ومن ذلك: تخصيص العام وتقييد المطلق وبيان صفة أمر في القرآن بالسنة.

---

١ تفسير السعدي (١/٣٤٥ و٣٤٦).

٢ التحرير للطيار ص٦٤

٣ المهذب للحميضي ص٥٩

٤ الموافقات للشاطبي

المطلب الثاني: حجية تفسير القرآن بالسنة:

لتفسير القرآن بالسنة من حيث حجيته أقسام:

الأول: أن يتوافق كثير من المفسرين على أن حديثاً يفسر آية حتى صار ذلك كالإجماع؛ فهو حجة لابد من الأخذ به.[١]

قال السمعاني: "وإذا ثبت الخبر عن النبي لم يبق لأحد كلام"[٢].

الثاني: أن يختلف المفسرون في مدى بيان الحديث للآية؛ فلا يكون حجة مطلقاً وإنما يكون قرينة في الترجيح وبيان المعنى[٣].

ومن أسباب الاختلاف: خفاء دلالة الحديث على المعنى، أو ضعف الحديث مع مخالفته لظاهر الكتاب أو ظاهر السنة الصحيحة أو ظاهر السياق، أو ظهور وجوه أخرى أقوى منه في تفسير الآية.[٤]

ولابد أن يُذكر هنا أن من منهج العلماء المتقدمين؛ التساهل في قبول الحديث الضعيف لبيان معاني الآيات ما لم يتعلق البيان بالعقائد والأحكام[٥]،

قال البيهقي بعد بيان نوعي الحديث الذي اتفق أهل العلم بالحديث على ضعف مخرجها إما لكون راويه متهماً بوضع الحديث والكذب فيه أو سوء حفظه وكثرة غلطه: " فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملاً في الأحكام... وقد يُستعمل في الدعوات، والترغيب، والترهيب، والتفسير، والمغازي؛ فيما لا يتعلق به حكم"[٦]

الثالث: أن يكون الحديث موضوعاً مكذوباً أو شديد الضعف أو منكر المتن؛ فإنه لا يحتج به مطلقاً، وإن ذُكر فلا يكون إلا للتحذير منه وبيان درجته[٧].

---

١ ينظر: التحرير للطيار ٧٣، المهذب للحميضي ٥١

(٢) تفسير السمعاني (٣٤/٤).

٣ ينظر: التحرير للطيار ٧٣ و ٧٤، المهذب للحميضي ٥٢

٤ ينظر: التحرير للطيار ٧٣ و ٧٤، المهذب للحميضي ٥٢

٥ ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ٣٣/١، المهذب للحميضي ٥٢

٦ دلائل النبوة للبيهقي ٣٣/١،

٧ ينظر: المهذب للحميضي ٥٢ و٥٣

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير النبوي وتفسير القرآن بالسنة:

بناء على ما سبق في دراسة هذا الفصل ظهرت عدة فروقات بين التفسير النبوي والتفسير بالسنة، من عدة جوانب:

الجانب الأول: القائم بالتفسير:

ظهر أن المبيِّن للآية في التفسير النبوي هو: رسول الله ﷺ، أما في تفسير القرآن بالسنة فالمبيِّن للآية فيه هو: المفسِّر؛ فتفسير القرآن بالسنة قائم على اجتهاد المفسِّر وربطه بين الآية والحديث ليصل إلى تفسير الآية.

الجانب الثاني: الحجية:

ظهر أن التفسير النبوي إذا ثبت فهو حجة مطلقاً، أما التفسير بالسنة فحجيته على أقسام ثلاثة؛ هو حجة إذا صح وتوافق فيه المفسرون، أو قرينة في بيان المعنى والترجيح عند اختلاف المفسرين، أو لا يُحتج به مطلقاً إذا كان موضوعاً مكذوباً أو شديد الضعف أو منكر المتن.

الجانب الثالث: إذا وُجِد ما يُضاده:

تبيَّن أن التفسير النبوي إذا وُجِدَ ما يُضاده من تفسيرات فإنه يُـرَد، أما التفسير بالسنة فإذا وُجِد ما يُضاده فهو على أقسام: فإن كان فيما اتفق عليه المفسرون فإنه يُـرَد، وإن كان فيما اختلف فيه المفسرون وكان القول المضاد أقوى فيؤخذ به.

الجانب الرابع: العموم:

اتضح أن تفسير القرآن بالسنة أعمّ؛ فهو يشمل التفسير النبوي واجتهاد المفسِّر في تفسير القرآن بالسنة، فالمفسِّر يفسِّر الآيات بما فسرها به النبي ﷺ، ويفسرها اجتهاداً.

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإني خلصت بعد البحث في تفسير القرآن بالسنة عند السعدي إلى عدة نتائج وتوصيات وبيانها فيما يلي:

أولاً: أبرز النتائج:

١- عُني السعدي بتفسير القرآن بالسنة، وقد ظهر ذلك جلياً في تفسيره.

٢- السنة أصل مهم من أصول التفسير، ولا بد من الرجوع إليها في تفسير الآيات.

٣- ينقسم التفسير بالسنة إلى قسمين،، تفسير نبوي صريح، وتفسير بالسنة باجتهاد المفسرين.

٤- التفسير النبوي الصريح حجة، يجب الأخذ به ورد ما يخالفه.

٥- التفسير الاجتهادي بالسنة حجة إذا صحَّ وأجمع عليه المفسرون، أما إذا كان الحديث موضوعاً أو مكذوباً أو شديد الضعف أو منكر المتن فلا يُحتج به مطلقاً.

ثانياً أبرز التوصيات:

ظهر بعد البحث في تفسير القرآن بالسنة الحاجة إلى دراسة تفسير القرآن بالسنة دراسة تأصيلية؛ تؤصِّل لهذا الأصل المهم في تفسير القرآن الكريم وتكشف عن أسباب الخطأ فيه.

تم بحمد الله.

ثبت المصادر والمراجع:

- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي.
- التحرير في أصول التفسير للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار.
- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن بن ناصر السعدي.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
- الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ هـ - ٢٠٤ هـ).
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ).
- قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي.
- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار.
- المهذب في أصول التفسير، للدكتور إبراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي.
- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ).